

البنية الأسرية واكتساب اللغة عند الطفل
قراءة نقدية لتأثير المحيط الأسري وفقاً لنظرية بيرنشتاين

Family Structure and Child Language Acquisition:
A Critical Analysis of the Influence of the Family Environment According to
Bernstein's Theory

عبد الكريم صالح^{1*}، جيلالي مزاني²

¹ جامعة خميس مليانة (الجزائر)، a.salhi@univ-dbk.com.dz

² جامعة خميس مليانة (الجزائر)، d.mezaini@univ-dbk.com.dz

تاريخ الاستلام : 2026/05/21 ؛ تاريخ القبول : 2026/09/27

ملخص : يهدف هذا البحث إلى إبراز دور الأسرة في اكتساب الطفل لمهاراته اللغوية، باعتبارها البيئة الأولى التي يتشكل فيها وعيه اللغوي والثقافي. فالأسرة تمثل الإطار الأساسي الذي يتلقى فيه الطفل مبادئ اللغة والتنشئة الاجتماعية. ورغم تعدد مؤسسات التنشئة، تظل الأسرة الأكثر تأثيراً في تنمية قدراته المختلفة. ويُعزى ذلك إلى ما تتسم به من بنية متكاملة تتفاعل فيها عوامل داخلية تؤثر في تعلم اللغة. كما يسعى البحث إلى تحليل أثر المحددات البنوية داخل الأسرة في هذا الاكتساب. وينطلق من تصور بازل بيرنشتاين حول الرموز اللغوية وعلاقتها بعدم المساواة التعليمية. ويخلص البحث إلى أن خصائص البنية الأسرية تؤدي دوراً حاسماً في تنمية المهارات اللغوية والتعبيرية لدى الطفل.

كلمات مفتاحية: البنية الأسرية، اكتساب اللغة، التنشئة الاجتماعية، الرموز اللغوية، الأسرة.

Abstract : This research aims to highlight the role of the family in a child's acquisition of language skills, as it is the primary environment shaping linguistic and cultural awareness. The family provides the first foundations of language and socialization. Despite the presence of other social institutions, it remains the most influential in developing the child's abilities. This is due to its integrated structure and internal factors affecting language learning. The study also examines the impact of structural determinants within the family on this process. It draws on Basil Bernstein's theory of linguistic codes and educational inequality. The research concludes that family structure plays a key role in shaping the child's linguistic and expressive development.

Keywords: Family structure.; Language acquisition; Socialization; Linguistic codes .
Family

* عبد الكريم صالح.

1- مقدمة

تعدّ اللغة من أهم وسائل التواصل بين البشر، فهي الأداة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره ومشاعره واحتياجاته، كما تمكّنه من نقل المعرفة عبر الأجيال وبناء العلاقات الاجتماعية. ولا يقتصر دور اللغة على التواصل فحسب، بل تتجاوز ذلك لتكون وسيلة أساسية للتفكير وتنظيم المعارف، وركيزة في تشكيل

الهوية الثقافية والانتماء المجتمعي. وفي هذا السياق، تبرز الأسرة باعتبارها أول مؤسسة اجتماعية يتفاعل معها الطفل، وأهم وسط طبيعي يسهم في تنشئته الاجتماعية وتكوينه النفسي والمعرفي. فهي التي تزوده بالقيم والمعايير، وتساعده على اكتساب العادات والتقاليد، وتلعب دوراً محورياً في بناء شخصيته وتحديد ملامح سلوكه المستقبلي.

كما تُعدّ الأسرة كذلك البيئة الأولى لاكتساب اللغة، حيث ينمو الطفل لغوياً من خلال التفاعل اليومي مع أفرادها، فيكتسب مفرداته وأساليب تعبيره تدريجياً. ويتأثر هذا الاكتساب بعدة عوامل بنيوية داخل الأسرة، من أبرزها المستوى الثقافي والتعليمي للوالدين، الذي يساهم في توفير بيئة لغوية غنية، إلى جانب الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي قد يدعم أو يعيق فرص التواصل والتفاعل اللغوي. تُبرز الأدبيات التربوية والنفسية أهمية الأسرة بوصفها السياق الأول للنمو اللغوي، الأمر الذي يجعل دراسة إسهامها في تنمية المهارات اللغوية لدى الطفل ضرورة لفهم العوامل المؤثرة في بناء قدراته التواصلية والمعرفية.

2- الإشكالية :

انطلاقاً مما سبق، تبرز إشكالية هذه الدراسة في محاولة فهم طبيعة العلاقة بين البنية الأسرية واكتساب اللغة لدى الطفل، وذلك في ضوء الفوارق المرتبطة بالمستوى الثقافي والتعليمي والوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة. كما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى تأثير المحيط الأسري في تطوير الكفاءة اللغوية للطفل، بالاستناد إلى نظرية الرموز اللغوية لدى العالم بازل بيرنشتاين، التي تؤكد ارتباط أنماط اللغة بالسياق الاجتماعي والثقافي للأسرة.

وعليه يمكن صياغة التساؤل الرئيسي كما يلي:

إلى أي مدى تؤثر البنية الأسرية بمكوناتها (الثقافية، التعليمية، والاجتماعية الاقتصادية) في اكتساب اللغة لدى الطفل، وفقاً لنظرية بيرنشتاين؟

و تتفرع منه التساؤلات الجزئية، الآتية:

* ما دور الأسرة في تنمية المهارات اللغوية لدى الطفل؟

* كيف يؤثر المستوى الثقافي والتعليمي للوالدين في تطور اللغة؟

* ما انعكاس الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة على الكفاءة اللغوية للطفل؟

3- الأسرة

1.3- الأسرة لغة :

وحسب المعجم الوسيط هي: "أهل الرجل وعشيرته، وجماعة يربطها امر مشترك. ، جمع اسر" (المعجم الوسيط، 1997، صفحة ص17) وهناك تعريفات اصطلاحية نذكر منها:

2.3- اطلاقاً:

- يعرف (ميردوك الأسرة) : بأنها " جماعة اجتماعية تتسم بمكان إقامة مشترك، و قد تتعرض إلى مشاكل اقتصادية و لها وظيفة تكاثرية، تمد من خلالها المجتمع بأفراد لهم بصمات واعدة على ثرائها (سرحان، 2012، صفحة ص267)

- أما (بيرجس و لوك) فيعرفان الأسرة : " على أنها مجموعة من الأشخاص يرتبطون معا بروابط الزواج و الدم و التبني، و يعيشون تحت سقف واحد و يتفاعلون معا وفق لأدوار اجتماعية محددة، و يخلقون نمطا ثقافيا عاما و يحافظون عليه (الشافعي، 2001، صفحة ص185)

- في حين يعرفها (برنار بربار) " B: BARBER بأنها " المؤسسة التي ينتمي إليها الطفل، و تضع الجذور الأولى لشخصيته و خبراته التي تستمر طول حياته (زرارقة، 2005، صفحة ص19)

تكشف التعريفات المتعددة للأسرة عن كونها بنية اجتماعية ديناميكية تتداخل فيها الأدوار والمسؤوليات بين أفرادها، وتُعد الحاضنة الأولى لنمو الطفل وتطوره. فمن خلالها يبدأ احتكاكه بالعالم الاجتماعي، وفي كنفها تتشكل الملامح الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية، بما تتضمنه من قيم ومعايير وأنماط سلوكية تسهم في بناء شخصيته وتكيفه مع محيطه الاجتماعي. و على الرغم من تعدد مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعنى بتربية الطفل وإعداده للحياة، فإن الأسرة كانت ومازالت ولا تزال أهم وكالة اجتماعية أوكلت لها مهمة تربية النشء، وتنمية قواه المختلفة من خلال وظائفها المتعددة، ويكاد يجمع علماء النفس بأن المكونات الأساسية لشخصية الطفل تتشكل ببلوغه الخامسة من عمره، وذلك في أحضان الأسرة، فيتعلم استجابات عقلية وبدنية وعاطفية إلى بعض المهارات الأولية، وهكذا يتضح أن المتطلبات القبلية للحياة الاجتماعية التي سيواجهها الطفل تتحكم فيها إلى حد ما الحياة الأسرية، وأن جزء كبير من مستقبل الطفل ونوع الحياة وفرصها، يتوقف على نوع الأسرة التي يعيش فيها.

4- اللغة

1.4- لغة :

جاء في القاموس العربي الشامل أن اللغة تُشتق من لفظة «لغة» وجمعها «لغات»، كما تُطلق على مجموعة الأصوات والكلمات التي يستخدمها أفراد المجتمع للتعبير عن احتياجاتهم وأفكارهم والتواصل فيما بينهم. ويُقصد بكتب اللغة المعاجم والقواميس التي تُعنى بضبط مفرداتها وشرح معانيها، في حين يُطلق مصطلح أهل اللغة على المتخصصين والعارفين بقواعدها وأسرارها. (قبيعة، 1997)

2.4- اصطلاحا: تعبر كلمة اللغة عند اللسانيات بأنها " الكفاءة الملاحظة لدى كل الناس للتبليغ بواسطة أو من خلال ألسن des langues، وهي مجموعة من الألسن أو اللغات الإنسانية المأخوذة بعين الاعتبار في مزاجهم المشترك " و جاء في الموسوعة الفرنسية مفهوم اللغة " بأنها علامات مركبة تولد شعورا وإحساسات متباينة، إما مستثارة متباينة أو مخمنة عن طريق الارتباط (الجليل، دون سنة، صفحة ص29).

و اللغة يعرفها (جون ديوي): "بأنها وسيلة اتصال بين أفراد جماعة تؤلف بينهم على صعيد واحد (آخرون، 2007، صفحة ص17). "و تناولت الجمعية الأمريكية للنطق واللغة والسمع اللغة في مفهومها الشامل language heaiying :speech American Association على أنها: "نظام ديناميكي معقد من الرموز المتفق عليها، تستخدم بعدة أشكال في التفكير والتواصل"، و تتفق الآراء المعاصرة حول اللغة على أن :

أ- اللغة تتطور في سياقات تاريخية، اجتماعية، ثقافية محددة.

ب- اللغة كسلوك تحكمه القواعد، يمكن وصفها من خلال خمس مكونات (فونولوجية، مورفولوجية، نحوية دلالية، برجماتية).

ج- تعلم اللغة واستخدامها تحدده تفاعل عوامل بيولوجية معرفية، نفسية، اجتماعية، بيئية (عمارة، 2015، صفحة ص18)

تتباين المقاربات العلمية لمفهوم اللغة تبعاً لاختلاف زوايا النظر إليها؛ إذ يؤكد علماء الاجتماع وظيفتها الاجتماعية بوصفها وسيلة أساسية للتفاعل وتبادل المعاني بين أفراد المجتمع، دون إغفال دور الرموز غير اللفظية في التواصل. في المقابل، يولي علماء النفس اهتماماً أكبر للآليات النفسية والمعرفية المرتبطة باكتساب اللغة ونموها وإنتاجها، فضلاً عن دراسة الدلالات والمعاني التي تحملها والعمليات الذهنية التي تسهم في فهمها واستخدامها. (العشاوي، 2004)

في منظورها الواسع، لا تقتصر اللغة على كونها مجموعة من الأصوات والألفاظ والقواعد النحوية والصرفية، بل تُعد ظاهرة اجتماعية ونفسية معقدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان وتفاعلاته. فهي نظام رمزي يتكون من أصوات تنتظم في كلمات ثم في تراكيب لغوية تمكن الفرد من التعبير عن أفكاره ومشاعره ونقل معانيه إلى الآخرين. وقد ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار اللغة تجسيداً للفكر ذاته، في حين رأى آخرون أنها الوسيلة التي يدرك الإنسان من خلالها العالم المحيط به ويفسره. كما أن وجود اللغة لا ينفصل عن الإطار الاجتماعي الذي تنشأ فيه وتؤدي وظائفها داخله، إذ لا تتحقق إلا من خلال استعمال الأفراد لها في سياقات التواصل المختلفة. وفي هذا الصدد يؤكد كل من سويت ودي سوسير أن اللغة تكتسب وجودها الفعلي من خلال تمثيلها في أذهان المتكلمين واستعمالهم لها.

وانطلاقاً مما سبق، يمكن النظر إلى اللغة بوصفها الأداة الأساسية للتواصل والتفاهم بين الأفراد، حيث تتيح تبادل الأفكار والخبرات والمعاني. ويبدأ الطفل في التفاعل مع اللغة منذ مراحل عمره الأولى من خلال استقبله للأصوات والكلمات التي يسمعها في محيطه، وذلك قبل أن يمتلك القدرة على إنتاجها واستخدامها بصورة منظمة. فالرضيع، رغم عدم تمكنه من التعبير اللفظي بواسطة الكلمات، يستطيع التواصل مع من حوله من خلال إصدار أصوات ونبرات مختلفة تحمل دلالات تعكس حاجاته ورغباته، مما يمثل اللبنة الأولى في مسار نموه اللغوي وتطوره التواصلية.

5. البيئة الأسرية ودورها في بناء الكفايات اللغوية لدى الأطفال

يُعد النمو اللغوي أحد الخصائص الأساسية التي تميز الإنسان، إذ يمثل عملية نمائية متواصلة تبدأ منذ اللحظات الأولى من حياة الطفل ولا تتوقف عند مرحلة عمرية محددة، بل تستمر ما دام الفرد قادراً على التعلم واكتساب الخبرات الجديدة. وتُعد اللغة أداة إنسانية متطورة تتكيف مع حاجات الفرد التواصلية والمعرفية، وتمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره والتفاعل مع محيطه الاجتماعي.

ويشير الاستعداد اللغوي لدى الطفل إلى بلوغه درجة من النضج تسمح له بالتعبير تدريجياً عما يدور في ذهنه من أفكار وانفعالات استجابةً لما يسمعه أو يراه من مثيرات في البيئة المحيطة. غير أن هذا الاستعداد لا يظهر بصورة فجائية، وإنما يتطور بشكل تدريجي ومتدرج منذ الولادة عبر مراحل النمو

المختلفة. ففي البداية يقتصر تواصل الطفل على استجابات حركية بسيطة، كالتفات العينين أو الرأس نحو مصدر الصوت، وخاصة الأصوات المألوفة الصادرة عن أفراد الأسرة. وتمثل هذه السلوكيات أشكالاً أولية من التواصل تسبق التعبير اللغوي المنظم، وذلك لعدم امتلاك الطفل في هذه المرحلة رصيداً لغوياً كافياً. ومع تقدمه في النمو الجسمي والعقلي والانفعالي، تتسع قدراته التواصلية ويبدأ في إصدار أصوات متنوعة تنسم في البداية بعدم الوضوح وعدم الانتظام، ثم تتطور تدريجياً لتصبح أكثر تمايزاً. وقد تأخذ هذه الأصوات شكل الضحك تعبيراً عن مشاعر الارتياح والسرور، أو البكاء للدلالة على الجوع أو الألم أو غيرها من الحاجات الأساسية. وتمثل هذه المظاهر المراحل الأولى في مسار اكتساب اللغة، حيث ينتقل الطفل تدريجياً من التواصل غير اللفظي إلى استخدام الرموز والكلمات للتعبير عن ذاته والتفاعل مع الآخرين.

يلي ذلك انتقال الطفل إلى مرحلة يصدر فيها أصواتاً متقطعة وأحرفاً مفككة، قد تشكل بدايات لكلمات تحمل دلالات معينة، كأن ينطق حرف "الباء" قاصداً به "باباً". ومع نمو الطفل، يتطور استعداده اللغوي، فيبدأ بنطق عدد أكبر من حروف الكلمات التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بحياته اليومية، حتى وإن لم تكن الكلمة مكتملة أو واضحة من الناحية اللفظية. ورغم ذلك، تبقى هذه المحاولات تعبيراً أولياً يعكس رغبته في التواصل اللغوي.

هذا النمو التدريجي يمكن الطفل تدريجياً من نطق الكلمات بشكل أوضح، وإن كان ذلك لا يرقى بعد إلى تكوين جمل مفيدة. ومع التقدم في مراحل النمو، وتراكم الخبرات المستمدة من الأسرة والوسط المحيط، يتطور الاستعداد اللغوي لدى الطفل تدريجياً حتى يأخذ شكله الكامل والواضح. إن هذا المسار التطوري يدل على أن الطفل يمتلك استعداداً لغوياً فطرياً منذ لحظات حياته الأولى، إذ إن تفاعله مع بيئته ومحيطه يشكل أساساً ضرورياً لنموه اللغوي، ويعكس جانباً جوهرياً من تفاعله الإنساني مع العالم من حوله. (معال، 1996)

ومما يجدر الإشارة إليه أن الأمهات عادة ما يهتمون بمشاكل التغذية والحالة الصحية للأولاد الصغار داخل الأسرة وخارجها، وفي السنوات الأخيرة ازداد الاهتمام بتوفير فضاءات وأنشطة اللعب الموجهة للأطفال، إدراكاً لأهميتها في دعم نموهم الشامل. غير أن الوعي بالدور المحوري للتفاعل اللغوي والكلامي في المراحل المبكرة من حياة الطفل لا يزال بحاجة إلى مزيد من التعزيز. ففي العديد من الأسر ومؤسسات الطفولة المبكرة يقضي الأطفال فترات طويلة في أنشطة يغلب عليها الطابع الفردي، مثل مشاهدة التلفاز أو الانشغال بالألعاب المنفردة والرسم، دون أن تتوافر لهم فرص كافية للحوار والتبادل اللفظي مع الكبار أو الأقران.

وتسهم مجموعة من العوامل في الحد من فرص التواصل اللغوي لدى الطفل، من بينها الضغوط والالتزامات اليومية التي يواجهها الوالدان، وضعف الإعداد التربوي والنفسي لبعض الأسر، إضافة إلى تقلص حجم الأسرة واتجاهها نحو نمط أكثر انغلاقاً، خاصة في البيئات الحضرية. كما أن الاكتظاظ داخل أقسام رياض الأطفال وتركز بعض البرامج التربوية على أنشطة أخرى قد يؤديان إلى تقليص فرص التفاعل

اللفظي الفردي مع الأطفال. ونتيجة لذلك قد يعاني بعضهم من بطء أو قصور في النمو اللغوي مقارنة بما يتيح لهم قدراتهم وإمكاناتهم النمائية.

6. النمو اللغوي.

يُعد النمو عملية شاملة تتضمن سلسلة من التغيرات المنظمة التي تصيب مختلف مكونات الفرد الجسدية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، وتسهم في انتقاله التدريجي من مرحلة إلى أخرى نحو مستويات أعلى من النضج والتكامل. وقد عرفه **ليجوندر رينالد** بأنه مجموعة التحولات التي تطرأ على بعض الأعضاء والوظائف الحيوية بما يسمح لها بالوصول إلى أقصى درجات تطورها. ومن هذا المنطلق، يُفهم النمو بوصفه عملية تراكمية مستمرة تُمكن الفرد من إظهار إمكاناته واستعداداته الكامنة في صورة مهارات وقدرات وصفات شخصية تسهم في تكيفه مع متطلبات البيئة ومختلف مواقف الحياة.

1.6- مراحل النمو اللغوي عند الطفل.

1.1.6- النمو اللغوي من (0 إلى 2 سنة) : تشهد هذه المرحلة البدايات الأولى لتطور اللغة لدى الطفل، حيث يعتمد التواصل في البداية على إصدار أصوات متنوعة تتمكن الأم أو القائمون على رعايته من تفسير دلالاتها المرتبطة بحاجاته وانفعالاته المختلفة. كما يظهر الطفل استجابات صوتية تعكس حالاته الوجدانية، مثل الرضا أو الفرح أو الانزعاج، ويبدأ تدريجياً في محاكاة بعض الأصوات التي يسمعها في بيئته المحيطة.

ومع تقدم الأشهر الأولى، ينتقل الرضيع إلى مرحلة المناغاة التلقائية، التي تتسم في بدايتها بالعفوية وعدم الانتظام، إذ يصدر أصواتاً ومقاطع صوتية دون ارتباط مباشر بموقف تواصلية أو استجابة من الآخرين. وتُعد هذه المرحلة خطوة أساسية في تطور الجهاز اللغوي، حيث يبدأ الطفل تدريجياً في التحكم بأعضاء النطق وإنتاج أصوات أكثر تنوعاً. وعادةً ما تظهر الأصوات الحلقية أولاً، تليها الأصوات الشفوية مثل (م) و(ب)، ثم تتطور القدرة على دمج هذه الأصوات في مقاطع لفظية بسيطة من قبيل «ماما» و«بابا». وبعد ذلك تتسع حصيلته الصوتية لتشمل أصواتاً أخرى كالحروف السنية والأنفية وغيرها، مما يمهد لظهور الكلمات الأولى وبداية التواصل اللفظي المقصود. (واخرون، 2007)

2.1.6- النمو اللغوي لدى الطفل من سنتين إلى ست سنوات.

تُعد الفترة الممتدة من السنتين إلى ست سنوات مرحلة حاسمة في تطور اللغة لدى الطفل، إذ تشهد تقدماً ملحوظاً في قدراته على الفهم والتعبير والتواصل مع الآخرين. ففي هذه المرحلة يصبح كلامه أكثر وضوحاً ودقة، ويتحسن نطقه تدريجياً مع تراجع الأخطاء اللغوية والتراكيب غير المكتملة التي كانت تميز مراحلها السابقة. كما تتطور قدرته على استيعاب الرسائل اللغوية وفهم ما يقال له، الأمر الذي يساعده على التفاعل بصورة أكثر فاعلية مع محيطه الاجتماعي.

ومن أبرز مظاهر النمو اللغوي خلال هذه الفترة اتساع حصيلته اللفظية وازدياد قدرته على التعبير عن حاجاته ومشاعره وخبراته اليومية، إضافة إلى تطور قدراته المفهومية وانتقاله التدريجي نحو التفكير المجرد، حيث يبدأ في إدراك العلاقات بين الأشياء وتصنيفها ضمن فئات عامة، مثل اعتباره الكلب نوعاً

من الحيوانات أو اللبن أحد أنواع الطعام. كما تتضح لديه معاني بعض القيم والأحكام البسيطة المرتبطة بالخير والشر أو المقبول وغير المقبول.

وتتميز هذه المرحلة بأنها الأسرع من حيث اكتساب المفردات وتطور مهارات الفهم والإنتاج اللغوي، مما يجعلها ذات أهمية كبيرة في بناء شخصية الطفل وتعزيز توافقه الاجتماعي والانفعالي وتنمية قدراته العقلية. وخلالها يكتسب الطفل عدداً متزايداً من الكلمات ويفهم معانيها بصورة أدق، ويصبح قادراً على توظيفها في تراكيب وجمل مترابطة ذات دلالة واضحة. كما تتطور قدرته على فهم لغة الراشدين والأطفال على حد سواء، ويبدأ في إنتاج جمل قصيرة ثم أكثر تعقيداً، تتراوح عادة بين أربع وست كلمات، وتتميز بالسلامة الوظيفية والقدرة على نقل المعنى بصورة مفهومة وفعالة. (واخرون، 2007)

7. الأسرة واكتساب اللغة عند الطفل .

لا خلاف في أن البيئة الأسرية تؤدي دوراً محورياً في تطور اللغة لدى الطفل، إذ يتأثر اكتسابه للمهارات اللغوية بنوعية التنشئة التي يتلقاها داخل الأسرة وطبيعة التفاعلات التواصلية التي تجمعها بأفرادها. كما يرتبط النمو اللغوي السوي بتوافر مجموعة من الشروط، من بينها سلامة الأجهزة العضوية المسؤولة عن النطق والإدراك، إلى جانب النضج الانفعالي الذي يتيح للطفل التفاعل الإيجابي مع محيطه. وعندما تتكامل هذه العوامل، تتطور قدراته اللغوية بصورة طبيعية ومتدرجة بما يتناسب مع المراحل العمرية المختلفة التي يمر بها.

فالأُسرة تعد الخلية الأساسية في بناء المجتمع، والوسيط الأول بين الفرد ومحيطه الاجتماعي. فهي المؤسسة التي تنتقل عبرها القيم والتقاليد من جيل إلى آخر، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، والتطبيع، والانتماء. ومن هذا المنطلق، تضطلع أسرة الطفل بدور جوهري في تعليمه اللغة وتنمية قدراته على استخدامها في سياقاتها الثقافية والاجتماعية المختلفة. فالأسرة هي المصدر الأول الذي يزود الطفل بفرص التعبير والتواصل، ويغرس فيه القدرة على النطق، وتشكيل الأفكار، ونقلها إلى الآخرين، مما يعزز من تفاعله اللغوي وقدرته على التكيف مع المواقف الاجتماعية المتنوعة. (السيد، 2004)

و من هذا المنطلق فإن اكتساب اللغة عملية اجتماعية، تفاعلية، حيث تؤثر البيئة الاجتماعية في تعلم اللغة و تحصيل المعرفة، انطلاقاً من هذا التصور، يُنظر إلى اكتساب اللغة بوصفه عملية اجتماعية قائمة على التفاعل المستمر بين الطفل ومحيطه، حيث تؤدي البيئة الاجتماعية دوراً أساسياً في تعلم اللغة وبناء المعرفة. فالطفل خلال سنواته الأولى يكتسب الألفاظ وأساليب التعبير من خلال تواصله اليومي مع الأشخاص المحيطين به، ولا سيما الوالدين وأفراد الأسرة. وفي هذه المرحلة المبكرة ترتبط اللغة ارتباطاً وثيقاً بالخبرات الحسية المباشرة، إذ يتعرف الطفل على الكلمات من خلال اقترانها بالأشياء والأحداث الملموسة التي يختبرها في حياته اليومية. (الرشدان، 1999)

في هذا الإطار، يجمع علماء النفس وعلماء الاجتماع على أن البيئة المحيطة بالطفل تُعد من العوامل الأساسية المؤثرة في تطور قدراته اللغوية، حيث يسهم التفاعل الاجتماعي المستمر في إثراء رصيده اللغوي وتنمية مهاراته التواصلية. فالنمو اللغوي لا يتحقق بمعزل عن الخبرات الاجتماعية التي

يعيشها الطفل، بل يتعزز من خلال احتكاكه بالآخرين ومشاركته في مواقف التواصل المختلفة داخل الأسرة وخارجها.

وتشهد القدرات اللغوية للطفل تطوراً ملحوظاً ابتداءً من السنة الثالثة من العمر، إذ يصبح أكثر قدرة على استخدام الضمائر وتوظيف عدد متزايد من المفردات في حديثه اليومي. ومع التقدم في العمر، خاصة خلال السنتين الرابعة والخامسة، يزداد ثراء اللغة لديه وتصبح تعبيراته أكثر وضوحاً وترابطاً، كما تتحسن قدرته على فهم المعاني وتنظيم أفكاره في صيغ لغوية أكثر دقة. وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل في استيعاب القواعد الأساسية للغة بصورة ضمنية، فيتعلم تكوين صيغ الجمع وتصريف الأفعال والتمييز بين الأسماء والأفعال، فضلاً عن إدراك الفروق بين الأزمنة المختلفة كالحاضر والمستقبل.

وتتعزيز هذه المكتسبات اللغوية بفضل الخبرات التربوية التي يتلقاها الطفل في مؤسسات التنشئة المبكرة، مثل الكتاتيب أو المدارس القرآنية ورياض الأطفال، حيث توفر له بيئة غنية بالمتغيرات اللغوية وفرصاً متنوعة للتفاعل والتواصل، مما يسهم في إعداد قدراته اللغوية والمعرفية قبل انتقاله إلى المرحلة المدرسية النظامية.

1.7- البنية الأسرية كعامل محدد لاكتساب اللغة وتطور المهارات اللغوية في مرحلة الطفولة .

تُعتبر الأسرة، بكل أفرادها، البيئة الأولى التي يبدأ فيها الطفل بتكوين علاقاته الاجتماعية في مراحل حياته المبكرة، وهذه العلاقات تؤثر بشكل كبير على نموه الاجتماعي في المستقبل سواء بشكل إيجابي أو سلبي. ويتأثر أداء الأسرة كأول مؤسسة للتنشئة الاجتماعية بعدد من العوامل البنوية التي تتكامل مع عوامل أخرى، مما يُنتج نظاماً متكاملًا يسهم بشكل كبير في عملية التنشئة الاجتماعية وتشكيل شخصية الفرد، يرتبط النمو اللغوي للطفل بعدد من المتغيرات البنوية داخل الأسرة، يأتي في مقدمتها المستوى التعليمي والثقافي للوالدين، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، إلى جانب حجمها وتركيباتها. وتؤثر هذه المتغيرات في طبيعة الخبرات اللغوية المقدمة للطفل وفي مقدار التفاعل اللفظي الذي يتعرض له، الأمر الذي ينعكس على سرعة اكتساب اللغة ومستوى تطور مهاراته التواصلية.

يشير **أسعد علي وطفة** في كتابه *علم اجتماع المدرسة: بنوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية* إلى أن فاعلية الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية لا تتحدد بعامل واحد، وإنما تتأثر بمجموعة من الخصائص البنوية التي تميزها، من بينها الخلفية الاجتماعية للأسرة، ومستوى دخلها الاقتصادي، والمستوى التعليمي للوالدين، وعدد أفرادها، إضافة إلى متغيرات أخرى تسهم في تشكيل البيئة التربوية والاجتماعية التي ينشأ فيها الأبناء. (وطفة، 2004)

في هذا السياق، وبناءً على ما تم ذكره سابقاً، يتضح أن كل من المستوى الثقافي، الاجتماعي والاقتصادي تمثل عوامل بنوية تشكل جزءاً أساسياً من هيكل الأسرة بوصفها وحدة اجتماعية تُبنى عليها معالم المجتمع. بلا شك، تلعب هذه العوامل دوراً مؤثراً بشكل مباشر في النمو الاجتماعي واللغوي للطفل، وأصبحت بمثابة محددات رئيسية لاكتساب المهارات اللغوية. من خلال مستوى الأسرة الثقافي ووضعها الاجتماعي والاقتصادي، تتبنى الأسرة أنماطاً وأساليب خاصة في عملية التنشئة الاجتماعية، حيث تتبلور

هذه الأساليب في استراتيجيات أسرية تدعم الطفل في تعلم المهارات اللغوية، بما في ذلك النطق السليم، التعبير الجيد، وثرء المفردات والمفاهيم.

1.1.7 - إسهام الخلفية الثقافية والتعليمية للوالدين في تنمية الكفايات اللغوية لدى الطفل .

يرى سيزتن أن التنشئة الاجتماعية تمثل حصيلة تفاعلات ممتدة تبدأ منذ لحظة الميلاد، وتُسهم بشكل مباشر في تشكيل بناء "الأنا" لدى الطفل، حيث تُعد العلاقات الاجتماعية عنصراً جوهرياً في تكوين الشخصية ونموها. ومن هذا المنظور، تُفهم التنشئة الاجتماعية بوصفها عملية قائمة على التفاعل المتبادل بين التأثير والتأثر. فمن جهة، تُعد عملية تعلم وتعليم يكتسب من خلالها الفرد منظومته القيمية واتجاهاته الثقافية ومعايير مجتمعه، بما في ذلك لغته الأم. ومن جهة أخرى، فهي تعبير عن وظيفة اجتماعية تنبثق من الأسرة باعتبارها نسقاً بنوياً، وتتجسد من خلال التفاعل القائم بين أفرادها، بما يعكس دينامية العلاقات داخل هذا البناء الاجتماعي. (Let, 1994, p. 344)

تأثر عملية التنشئة الاجتماعية بدرجة كبيرة بالمستوى التعليمي، سواء على مستوى الفرد أو داخل الأسرة ككل (الناصر، دون سنة، ص. 61). إذ يسهم المستوى الثقافي والتعليمي للوالدين في تشكيل الاتجاهات التربوية التي يعتمدونها في تنشئة أبنائهم اجتماعياً. فغالباً ما تميل الأسر ذات المستوى التعليمي والثقافي المرتفع إلى توظيف معارفها وخبراتها في أساليب التعامل مع الأطفال، والعمل على تنشئتهم وفق ما اكتسبوه من قيم ومعارف علمية وثقافية.

وبناءً على ذلك، تختلف ممارسات التنشئة الاجتماعية بين الأسر المتعلمة والأسر الأقل تعليمياً، حيث تتميز الأسر المثقفة باهتمام أكبر بالجوانب التعليمية لأبنائها، ومتابعة تحصيلهم الدراسي، والعمل على تنمية رصيدهم الثقافي، وتشجيعهم على المطالعة والاطلاع، بما يسهم في تعزيز نموهم المعرفي والاجتماعي. (مصباح، 2011)

وعليه، يُعد المستوى الثقافي واللغوي داخل الأسرة بمثابة خلفية مرجعية تُسهم في تشكيل الاستعداد اللغوي لدى الطفل، إذ إن نشأته في بيئة لغوية غنية ومتنوعة ينعكس إيجاباً على تطور قدراته الكلامية ويعزز من أدائه اللغوي. فكلما كانت اللغة المتداولة داخل الأسرة أكثر ثراءً من حيث المفردات والتراكيب، كلما اكتسب الطفل رصيذاً لغوياً أوسع، مما يساعده على تحسين نطقه والتحكم بصورة أفضل في عملية التعبير الشفهي.

كما أن مقدار التعرض اللغوي الذي يتلقاه الطفل داخل محيطه الأسري يُعد عاملاً مؤثراً في مستوى نموه اللغوي، وهو ما أكدته العديد من الدراسات في علم النفس اللغوي التي تناولت العوامل المحددة لاكتساب اللغة. وفي هذا السياق، تشير دراسة بيتي هارت وتود ريسلي إلى أن ليس فقط كمية اللغة الموجهة للطفل، بل أيضاً نوعيتها وأسلوب التفاعل اللغوي بين الوالدين والأبناء، تلعب دوراً حاسماً في تطوير مهارات الطفل اللغوية واكتسابه لقدرات تواصلية أكثر نضجاً وفعالية. (دريوش، دون سنة)

بل إن اكتساب المهارات اللغوية يُعد شرطاً أساسياً لتحسين التحصيل الدراسي ورفعته، حيث يتأثر ذلك أيضاً بالمستوى التعليمي للأسرة وانعكاسه على اتجاهات الطفل نحو الدراسة واهتمامه بالمعرفة وأساليب اكتسابها. فالأسر التي تولي اهتماماً بالاطلاع وتقدير المعرفة وتنوع مصادرها وأساليب تحصيلها، غالباً ما

تتعرض هذه التوجهات بصورة غير مباشرة على أبنائها، من خلال ما توفره لهم من بيئة محفزة على التعلم والتفكير. كما أن ما تمتلكه الأسرة من معارف وخبرات يساهم في تحديد طبيعة تفاعلها مع الأطفال وأساليب تواصلها معهم، الأمر الذي ينعكس بدوره على نموهم اللغوي والمعرفي.

تعد الأسرة، من خلال المستوى التعليمي للوالدين وفلسفتها الاجتماعية ورؤيتها للحياة وتخطيطها لمستقبل الأبناء، عاملاً حاسماً في تحديد فرص النجاح المدرسي للطفل، إلى جانب ما يمتلكه من قدرات واستعدادات فردية. إذ تساهم الأسرة في تهيئة شروط تحقيق متطلبات النمو عبر توفير أنشطة وخبرات متنوعة، بالإضافة إلى خلق بيئة نفسية واجتماعية محفزة على التعلم والاكساب المعرفي.

كما أن اهتمام الأسرة بغرس عادة القراءة لدى الأطفال منذ سن مبكرة يقدم نموذجاً سلوكياً يبرز أهمية القراءة بوصفها وسيلة رئيسية لاكتساب المعرفة، مما يشجع الأبناء على ممارستها ويعزز من تطورهم اللغوي. وينعكس ذلك في تنمية رصيدهم اللغوي وتحسين قدرتهم على استخدام اللغة بشكل سليم وفعال. وبذلك تساهم هذه الممارسات في تسهيل اندماج الطفل في محيطه الاجتماعي، من خلال تزويده بأدوات التواصل الأساسية، وتعزيز نمو استعداداته ومهاراته اللغوية بما يدعم تكيفه مع الحياة الاجتماعية.

2.1.7- أهمية الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة ودوره في اكتساب المهارات اللغوية.

إن تناول الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة باعتبارها أحد العوامل البنوية يتيح فهماً أعمق لمدى تأثيرها المباشر في حياة الطفل الاجتماعية وممارسات نموه المختلفة. إذ تساهم الطبقة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة في تحديد مكانة الطفل داخل النسق الاجتماعي، كما تنعكس على فرص نموه الجسدي والعقلي والانفعالي والاجتماعي.

وفي هذا السياق، يشير عدد من الباحثين، كما ورد عند (الدسوقي 2017)، إلى أنه كلما ارتفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، ازدادت قدرتها على توفير ظروف معيشية أفضل، بما في ذلك التغذية السليمة، إضافة إلى إتاحة فرص تعليمية وثقافية أكثر تنوعاً مقارنة بالأسر ذات الدخل المنخفض، الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على مسار نمو الأبناء وتطورهم.

إن الوضع الاجتماعي للأسرة له تأثير كبير في تحديد أساليب التنشئة الاجتماعية التي تعتمدها لمساعدة الطفل على تحقيق احتياجاته في النمو الجسدي، النفسي، والانفعالي. الأسرة التي تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، على وجه الخصوص، عادة ما توفر بيئة نفسية واجتماعية تدعم النمو السليم للطفل، مما يساهم في تطور مهاراته اللغوية. أطفال هذه الأسر عادة ما يتسمون بطلاقة في اللغة، ولديهم قدرة على استخدام اللغة بشكل فعال والتعبير عن أنفسهم بوضوح، مما يسهل تواصلهم مع الآخرين ويعزز من نجاحهم في الدراسة. (السيد، 2004، صفحة 77)

كما أن الجوانب المالية للأسرة تلعب دوراً حيوياً في تأمين الأساس المادي الذي تحتاجه الأسرة، حيث يعتمد أداء الأسرة لوظائفها المتنوعة على توفر الموارد الاقتصادية. وتعد الجوانب الاقتصادية للأسرة ضرورة لتحقيق الإشباع المادي لاحتياجات الأفراد في حياتهم الأسرية والزوجية (محمد، 2009)

نظرًا لأن الأسرة تُعتبر بنية اجتماعية تتكامل فيها المقومات الأساسية للحياة، فإن العاملين الاجتماعي والاقتصادي يلعبان دورًا بالغ الأهمية في دعم وظائف الأسرة. يؤثر الوضع الاقتصادي للأسرة بشكل مباشر في تنشئة الأطفال وتربيتهم، حيث أن الحياة المريحة والموارد الكافية تساهم في تلبية احتياجاتهم الأساسية مثل الطعام والملبس، فضلاً عن تمتعهم بمتاع الحياة. ومن هنا، فإن العلاقة بين التخلف الاقتصادي والتأخر اللغوي تشير إلى أن أبناء الأسر ذات الوضع الاقتصادي الضعيف غالبًا ما يعانون من الإهمال، ولا يجدون الدعم الكافي في محيطهم الأسري لتعزيز ما يتعلمونه في المدرسة.

من خلال ما سبق، يتضح أن الوضعين الاجتماعي والاقتصادي للأسرة يمثلان آليات أساسية لاستقرار الأسرة واستمرارها. لا يمكن للأسرة أداء وظائفها المتعددة بشكل صحيح إلا في ظل توفر الإمكانيات المادية والعلاقات المتوافقة بين أفرادها. هذه الإمكانيات تساهم في تلبية احتياجات الطفل الأساسية مثل الصحة والنمو الجسدي والنفسي، وتعمل على تمكينه من اكتساب اللغة وتطوير مهاراتها من خلال التفاعل والتواصل داخل الأسرة، مما يساهم في توفير الاستقرار الاجتماعي داخل هذا الإطار الأسري.

8. الدور الوظيفي للأسرة في اكتساب اللغة من منظور نظرية الرموز اللغوية "بيرنشتاين".

أظهرت العديد من الدراسات والنظريات أهمية البيئة الاجتماعية في عملية تعلم اللغة واكتسابها. ومن أبرز هذه النظريات نظرية الرموز اللغوية التي قدمها "بازل بيرنشتاين"، العالم الاجتماعي البريطاني. وقد اشتهر بيرنشتاين بفضل أبحاثه الرائدة حول العلاقة بين اللغة والطبقة الاجتماعية والتحول الاجتماعي. في عدد من الدراسات التي أنجزها بيرنشتاين بالتعاون مع فريقه البحثي ضمن وحدة أبحاث علم الاجتماع، تم تناول العلاقة القائمة بين أنماط استخدام اللغة من جهة، والبنية الطبقية والاجتماعية والجنسية من جهة أخرى. وقد أظهرت هذه الدراسات وجود فروق، وإن كانت محدودة نسبيًا، بين الطبقات الاجتماعية في طرائق توظيف اللغة وأساليب التعبير المتاحة لكل فئة اجتماعية، بما يعكس ارتباط اللغة بالسياقات الاجتماعية التي تُنتج داخلها. (محمد ج.، 2009)

تُبرز المقاربة النظرية لـ بيرنشتاين، المعروفة بنظرية "الرموز اللغوية"، أن الأطفال الذين ينشؤون داخل بيئات اجتماعية مختلفة يطوّرون منذ المراحل المبكرة من حياتهم أنماطًا لغوية متباينة، تنعكس لاحقًا على تجربتهم التعليمية داخل المدرسة. ولا يقصد بهذه الرموز مجرد اختلاف في المفردات أو المهارات الشفوية، بل تشير أساسًا إلى تباين في بنية الخطاب وأساليب التعبير واستعمال اللغة داخل السياقات الاجتماعية المختلفة، خاصة بين أطفال الطبقات الفقيرة وأطفال الطبقات الميسورة (وظفة ع.، 2013)

وفي هذا الإطار، يشير بيرنشتاين إلى أن لغة أطفال الطبقة العاملة تتسم بما يسميه "الرموز المقيدة"، وهي أنماط لغوية تعتمد على سياقات تواصلية ضمنية، يفترض فيها المتحدث وجود معرفة مشتركة غير مصرح بها بين الأطراف. وترتبط هذه الرموز غالبًا ببيئات اجتماعية تتميز بالتلاحم الأسري وقوة الروابط الجوارية، حيث تسود القيم والمعايير المشتركة التي تُفهم ضمناً دون الحاجة إلى التصريح اللفظي بها. ونتيجة لذلك، تُستخدم اللغة في هذه السياقات للتعبير عن الخبرات العملية اليومية أكثر من كونها وسيلة لمناقشة الأفكار المجردة أو تحليلها، وهو ما يجعل "الرموز المقيدة" سمة بارزة لدى الأطفال المنتمين إلى الأوساط ذات الدخل المنخفض (الصياغ، 2005، ص. 58).

كما يميز برنشتاين بين نمطين رئيسيين من اللغة تبعاً للبنية الاجتماعية، هما: "لغة الطبقة العاملة" و"لغة الطبقة الوسطى". فالأولى، التي يصفها باللغة المحدودة، تتميز ببساطة البناء اللغوي، وضعف أدوات الربط، وانخفاض مستوى التجريد، مع اعتمادها على عبارات مباشرة وأحياناً غير مكتملة. في حين تتسم لغة الطبقة الوسطى، أو ما يسميه "اللغة المتقنة"، بدرجة أعلى من التنظيم والتركيب، وغنى في الرمزية والتجريد، إضافة إلى الاستخدام الدقيق للضمائر وتسلسل الأزمنة (ماضي، حاضر، مستقبل) (Bernstein, 1971).

ويرجع برنشتاين هذا التباين اللغوي إلى اختلاف أنماط الحياة الاجتماعية وأساليب التفكير السائدة داخل كل فئة اجتماعية، حيث تختلف تصورات الأفراد وأنماط تفاعلهم اليومي تبعاً لموقعهم الاجتماعي. فالحياة في الأوساط العمالية، على سبيل المثال، يغلب عليها الطابع العاطفي والتواصل المباشر القائم على التفاهم الضمني، مما يقلل من الحاجة إلى الخطاب اللغوي المفصل والمعقد، ويعزز بدلاً من ذلك أشكالاً مختصرة وبسيطة من التواصل.

وانطلاقاً من هذا التصور، يرى برنشتاين أن الأطفال المنحدرين من الأوساط الفقيرة لا يمتلكون عادةً رصيذاً لغوياً متنوعاً يتوافق مع متطلبات الخطاب المدرسي، مما يؤدي إلى نوع من "التباعد اللغوي" بين لغتهم اليومية ولغة المؤسسة التعليمية. في المقابل، يتمتع أطفال الطبقة الوسطى بما يسميه "الرموز المفصلة"، وهي أنماط لغوية أكثر تركيباً وتنظيماً، تعكس بيئة اجتماعية وثقافية غنية، وتتماشى إلى حد كبير مع اللغة المستخدمة داخل المدرسة.

وبناءً على ذلك، يخلص برنشتاين إلى أن امتلاك "الرموز المفصلة" يمنح أطفال الطبقة الوسطى قدرة أكبر على التكيف مع متطلبات التعليم النظامي مقارنة بأقرانهم الذين نشؤوا في سياقات تعتمد "الرموز المقيدة"، مما يسهل اندماجهم في البيئة المدرسية ويعزز فرص نجاحهم الأكاديمي. ويؤكد هذا التصور الدور الحاسم للعوامل الأسرية والبنوية في تشكيل الكفاءة اللغوية للطفل، حيث يُعد المحيط الأسري والثقافي والتربوي الإطار الأول الذي يتحدد داخله بناء القاموس اللغوي وتطور المهارات التواصلية.

وعليه، فإن المستوى اللغوي الذي يصل إليه الطفل عند دخوله المدرسة يعكس بدرجة كبيرة موقعه الاجتماعي، كما يسهم في تصنيف المتعلمين داخل النسق التربوي، وهو ما تؤكد بوضوح النظرية اللغوية البرنشتاينية في ربطها بين اللغة والبنية الاجتماعية.

9. مناقشة مضمون نظرية الرموز اللغوية لبرنشتاين و إسقاطها على اكتساب المهارات اللغوية بين الاكتساب و التعلم.

بناءً على الأبحاث اللغوية التي قام بها "برنشتاين" في مجال اكتساب اللغة وتطوير مفاهيمها داخل الأسرة، وبالنظر إلى دور الأسرة الوظيفي التربوي من خلال منظور نظري، مع التركيز على تأثير البيئة الأسرية بعناصرها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في اكتساب وتطوير المهارات اللغوية للطفل في مراحل نموه المبكرة، يمكننا استخلاص ما يلي:

❖ يتبين أن عملية تعليم اللغة للطفل في مراحل عمره الأولى داخل محيطه الأسري تساهم بشكل كبير في تحسين أدائه اللغوي واكتسابه مهارات اللغة. كلما كانت البيئة الأسرية مشجعة على التعلم والاستفادة، حيث يساهم الاستقرار العائلي والعاطفي في توفير جو مناسب بعيد عن التوترات والصراعات الأسرية، التي قد تؤثر سلباً على تركيز الطفل في تعلم مفردات اللغة. بالتالي، يساعد هذا الجو الأسري الداعم في إثراء قاموس الطفل اللغوي بكلمات مسموعة ومنطوقة، مما يعزز من تعلمه واكتسابه للغة بشكل مستمر، ويجعلها أكثر رسوخاً إذا كانت تتناسب مع قدرته الاستيعابية.

❖ تُعد طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل مختلف الأوساط أحد العوامل الأساسية في تنمية الكفاءات اللغوية لدى الطفل، إذ يساهم التواصل المستمر والتعبير المتبادل في توسيع رصيده اللغوي وإثراء معجمه اللفظي. كما يتيح هذا التفاعل المتكرر مع المواقف الاجتماعية المختلفة تطوير القدرة على استخدام اللغة بشكل يتناسب مع طبيعة السياقات التواصلية، سواء من حيث الاستجابة أو التعبير الانفعالي، مما يعزز تدريجياً نضج الطفل اللغوي وقدرته على التفاعل الفعال مع محيطه

تُعد البيئة الأسرية الغنية بالمحفزات العلمية والثقافية أحد المكونات البنيوية المهمة للأسرة، لما لها من دور في تشكيل بنيتها ووظائفها التربوية. إذ تساهم هذه البيئة في توجيه النمو اللغوي للطفل وتعزيز مهاراته التواصلية بصورة واضحة، وذلك من خلال ما توفره من فرص للتعلم والتفاعل اللغوي المستمر عبر مختلف مراحل اكتساب اللغة وتطورها، إذ يسهل المحيط الذي يتميز بالمعرفة الحديثة والتجارب الثقافية والتعليمية (مثل الكتب، والمطالعة، وممارسة مفاهيم اللغة وتداولها) تعلم أساسيات اللغة، مما يساعد على تعزيز فهم الطفل لمصطلحات وتركيبات اللغة وتطويرها وفقاً لمعايير واضحة. وهذا يتماشى مع رؤية "بيرنشتاين" في أبحاثه، حيث يربط بين البيئة الأسرية والفئات الاجتماعية اللغوية، ويؤكد أن الأسر ذات الموارد التعليمية واللغوية المحدودة تقتصر لغاتها على استخدام كلمات ومفاهيم مختصرة، مما يؤثر على لغة أطفالهم عند دخولهم المدرسة. في المقابل، يتمتع الأطفال في الأسر الأكثر استقراراً وتعليماً بلغة غنية ودقيقة تتماشى مع لغة المدرسة، مما يسهل اندماجهم في البيئة المدرسية ويساهم في نجاحهم الأكاديمي وتطورهم في مختلف المراحل التعليمية

* خلاصة عامة .

بعد عرض مختلف العوامل البنيوية للأسرة وعلاقتها باكتساب اللغة وتنمية مهاراتها، إلى جانب تحليل نظرية "الرموز اللغوية" لدى برنشتاين، يتضح أن المتغيرات الأسرية المتمثلة في المستوى الثقافي والتعليمي للوالدين، والوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، تُعد مكونات بنيوية أساسية في تشكيل البناء الأسري. ويُفهم هذا البناء باعتباره نسقاً اجتماعياً متكامل داخله الأدوار والوظائف بهدف تحقيق التوازن والتكيف الاجتماعي للفرد.

وانطلاقاً من كون اللغة أداة للتواصل ووسيلة للاندماج الاجتماعي، فإن هذه المقومات البنيوية للأسرة تؤدي دوراً محورياً في تحديد المسار التربوي واللغوي للطفل ومستوى تطوره. إذ إن اكتساب اللغة وتطورها يعتمد على جملة من الآليات، من بينها التعلم بالملاحظة، والمحاكاة، والتقليد، إضافة إلى الممارسة

والتدريب، وهي عوامل قد تهيئ لنمو اللغة وتعزيزها أو تعيق تطورها وتحد من نموها، حسب طبيعة البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل بوصفه فاعلاً اجتماعياً يتفاعل ويؤثر ويتأثر بمحيطه. كما تتجلى أهمية العوامل البنوية للأسرة في طبيعة أنماط الحوار والتواصل بين الوالدين والأبناء، وما يتضمنه هذا التفاعل من رصيد لغوي ومفردات ورموز تؤثر بشكل مباشر في النمو اللغوي للطفل. فهذه التفاعلات تمثل مرجعية أساسية يبني من خلالها الطفل تمثلاته الاجتماعية ويطور نمط تفكيره الاجتماعي.

- المراجع:

- أبو معال، ع. ف. (1996). تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال. عمان: دار الشروق .
- إبراهيم، أ.، وآخرون. (1997). المعجم الوسيط (ج1). القاهرة: مصر .
- أحمد، س. س. (2004). الأسس الاجتماعية للتربية في ضوء متطلبات التنمية الشاملة والثورة المعلوماتية. القاهرة: دار الفكر .
- استيتيه، د. م.، وسرحان، ع. م. (2012). المشكلات الاجتماعية. عمان: دار وائل .
- الناصر، إ. (د.ت). علم الاجتماع التربوي. بيروت، لبنان: دار الجليل .
- بورغدة، ع. (2005). المدرسة الجزائرية والاستراتيجيات الأسرية. الجزائر: منشورات جامعة الجزائر 2 .
- دريوش، ر. (د.ت). الطفل ونمو السلوك اللغوي في الحالة العادية والمرضية. الجزائر: دار سكولي .
- راتب، أ. ق. (1997). القاموس العربي الشامل: عربي-عربي. بيروت، لبنان: دار الراتب الجامعية .
- زرارقة، ف. (2005). الأسرة وعلاقتها بانحراف الحدث المراهق. قسنطينة: منشورات جامعة منتوري .
- سكوت، ج. (2009). خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً: المنظرون المعاصرون (ترجمة ح. م. محمد). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر .
- عبد الجليل. (د.ت). اللغة والتواصل: اقتربات لسانية للتواصل الشفهي والكتابي. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر .
- عبد الفتاح، م. ع. ف. (2009). ظواهر ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمة الاجتماعية. مصر: دار الكتاب الحديث .
- عبد الله، ه.، والعشاوي، ع. (2004). أطفالنا وصعوبات اللغة واضطرابات الكلام: دليل عملي للأباء والمعلمين. دمشق، سوريا: دار الشجرة للنشر .
- علي، و. أ. (2004). علم الاجتماع المدرسي: بنوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية. بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
- عمايرة، م. م. (2015). اللغة وصعوبات القراءة. عمان: دار الفكر .
- غدنز، أ. (2005). علم الاجتماع مع مدخلات عربية (ترجمة ف. الصياغ). بيروت: المنظمة العربية للترجمة .
- مصباح، ع. (2011). التنشئة الاجتماعية والانحراف الاجتماعي. القاهرة: دار الكتاب الحديث .

- نبيل، ع. هـ، وآخرون. (2007). *تطور اللغة عند الأطفال*. عمان، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.

-Bernstein, B. (1971). *Class, Codes and Control: Theoretical Studies Towards a Sociology of Language*. London: Routledge & Kegan Paul.

-Let, F. G. (1994). *Dictionnaire des Sciences Humaines: Sociologie, Anthropologie*. Paris: Revue et Augmentée.